MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE

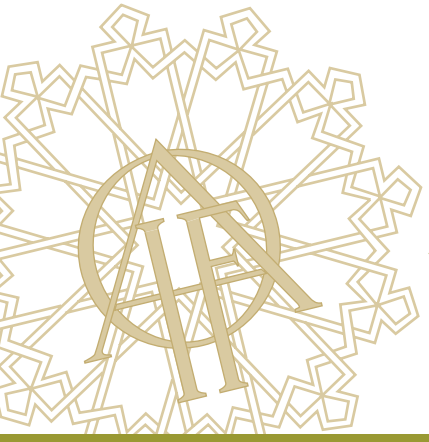

ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 22 (1987), p. 1-9

Muḥammad Naṣr Muhannā

-al hū-kataba - mulūk-al Ādab آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق mamlūk Bard Bak - dirasa wa taḥqīq wa taʿlīq.

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724710540	*Catalogue général du Musée copte*	Dominique Bénazeth
9782724711233	*Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales 40*	Emmanuel Pisani (éd.)
9782724711424	*Le temple de Dendara XV*	Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni, Youssreya Hamed
9782724711417	*Le temple de Dendara XIV*	Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni
9782724711073	*Annales islamologiques 59*	
9782724711097	*La croisade*	Abbès Zouache
9782724710977	*???? ??? ???????*	Guillemette Andreu-Lanoë, Dominique Valbelle
9782724711066	*BIFAO 125*	

© Institut français d'archéologie orientale - Le Caire

خاتمـــه :

أقام الاسلام دولة منذ البداية ، كما أقام نظاما ، وأتت نصوصه وأحكامه بتنظيم لشئون الدين والدنيا . والتراث الاسلامى سيظل يستأثر باهتمام الباحثين ، فهو جزء من عبقرية الامة الاسلامية ، وأوقات الضعف التى أصابت هذه الأمة ، — والجدل المثار حول العلاقة بين قومية الأمة والاسلام — لا يعنى هذا أن الاسلام عربى فقط ، فالاسلام أعم وأشمل ، ولم يأت للعرب فقط ، فالعرب أقلية بين المسلمين ، ولكنهم أكبر أقلية بينهم ، وهناك علاقة خاصة بين الاسلام والعروبة كاللغة والتراث الفكرى .

والنتائج التى استخلصتها من دراسة هذا المخطوط القيم ، من وجهة نظري ، تكمن فى أن عصر المماليك لا يعتبر شراً كله بالرغم من أن المماليك غرباء على حضارة المنطقة .

ومن هنا فان إخراج هذا المصدر الثمين هو انجاز لا بأس به ، فهو فضلا عن اعتباره النسخة الوحيدة ، فهى أيضا نسخة كاملة ، وواضح أن الناسخ كتبها على نظام الورقة ، وقد كتبت المخطوطة بخط عربى واضح ، وكان لطبيعة تخصص الناسخ — وهو من طبقة المستجدة الملكي الاشرفي — أثر واضح فى ترتيبها .

ومن تحليل نص المخطوط يتضح أن مصر مرت بفترة كانت العقيدة الدينية وحدها هى الصلة بين الحاكم والمحكومين ، على حين أن الرابطة القومية كانت مبعث تناقض واختلاف بين الحاكمين من المماليك أنفسهم .

ومن منظور تاريخى ، فقد تم القضاء على الدولة المملوكية فى يناير عام ١٥١٧ م وذلك بهزيمة طومان باي — الذى يتعرض مخطوطنا هنا لسلفه قنصوه الغورى — . وكان طومان باي بذلك آخر سلاطين المماليك الذى هزم على يد السلطان العثمانى سليم الأول بدخوله القاهرة .

إن المؤلفات التاريخية التى ظهرت فى نهاية العصر المملوكى مثل كتاب « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » لجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، وكتاب « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » لمحمد بن احمد بن اياس . . هذان الكتابان يميل أسلوبهما الى استخدام العامية المنثورة . وبالمثل نلاحظ ذلك فى صياغة هذا المخطو ط .

ومن الثابت أن تحقيق مثل هذه المخطوطات والوثائق وضبط أحداثها لتخرج فى صورة صحيحة تليق بها وتحفظ مصادر التاريخ والفكر الاسلامى — يحتاج ذلك الى تعاون الباحثين بصرف النظر عن جنسياتهم باعتبار أن التراث الاسلامى هو تراث للانسانية كلها .

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
.ta'līq wa taḥqīq wa dirasa - Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

فانه مسئول عن أفعالهم كما سئل عن فعل نفسه . قال الله تعالى : « وانذر عشيرتك الاقربين » . قال ازدشر : إذا كان الملك عاجزا عن صلاح خواصه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر على ردهم الى الصلاح . وليس شيء أهيب فى قلوب العمال والرعية عن سهولة الحجاب . فاذا كان الملك سهل الحجاب لم يكن العمال يجوروا ، وضاقت الرعايا من جور بعضهم على بعض ، ومن سهولة
[١٦-ا] الحجاب . / واجلسك مكان عثمان ذي النورين ، وانه يطلب منك مثل حياته ، فاكرمه ، وانزلك مكانه على بن ابي طالب ، ويطلب منك مثل عمله وزهده ، وعدله . فقال : زدني . قال :
[١٦-ب] نعم . ان الله تعالى جعل لاعدائه نارا اي دارا تعرف بجهنم ، وانه قد جعلك بواب / تلك ، واعطاك ثلاثة اشياء : بيت المال ، والسيف ، والسوط ، وأمرك ان تمنع الناس من دخول النار بهذه الثلاثة . فمن حاك محتاجا ، ولا يمنعه من بيت المال ، ومن خالف امر الله ، فادبه بالسوط . ومن
[١٧-ا] قتل نفسا بغير حق فاقتله بالسيف . فان لم تعمل ما أمرك به فانك تكون الرغيم لاهل النار / يكون للملك اطلاع على سائر الاعمال ولا يكون الملك غافلا ليكون الهيبة عن ناموس المملكه باقية ، وذلك لا يحصل الا بالتيقظ ليستريح من الهموم الحادثة من الغفله . روي عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — انه كتب الى عامله ابن [1] موسى الاشعري .

[١٧-ب] / اما بعد . فان اسعد العمال من سعدت به رعيته ، واشقاهم من شقيت به رعيته . اياك والتبسط باموال المسلمين . فان رعيتك يقتدوا بك ، فانما مثلك مثل دابه ذات مرعى اخضر ؛ فاكلت
[١٨-ا] وسمنت وكان سمنها هلاكها لانها عند سمنها تذبح وتؤكل . / وهذا كان دأب عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى كتابه الى عماله ، وكذلك سائر الخلفاء — رضى الله عنهم — وينبغي للملك ان يحب لقاء الصلحاء ، والزهاد ، والاتقياء ، ويحترم جنابهم ، ويعظم ثناءهم ، ويطلب منهم المواعظ
[١٨-ب] كما كانت سائر الخلفاء تفعل . روي ان / شقيق البلخى مر على هارون الرشيد فقال : انت شقيق الزاهد . قال : أنا شقيق ولست بزاهد . فقال : اوصينى . فقال : ان الله تعالى اقعدك مكان الصدق ، وانه يطلب منك مثل صدقة ، وانه أعطاك موضع عمر الفاروق ، ويطلب من الفرق
[١٩-ا] بين الحق والباطل / اللهم أمتنا على الحق ، وانت راضى [2] عنا يا رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ وصلى الله على النبى الامى ؛ وعلى آله ، وصحبه وسلم .

[1] هكذا الأصل وصحتها « أبى موسى الاشعرى » . — [2] هكذا الأصل وصحتها « راض » .

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
.ta'līq wa taḥqīq wa dirasa - Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

/ وكل انسان يذكر بما يفعل ، وينسب الى ما كان يعمله ان كان خيرا فخيرا ، وان كان شرا فشرا . ويقال : ان الاسكندر ركب يوما فى موكب مملكته فقال بعض مقدميه : ان الله أعطاك ملكا عظيما فلو انك تستكثر من النساء فتكثر اولادك فتذكر بهم بعدك . فقال الاسكندر : ليس ذكر الرجال بعدهم بذكر الاولاد ؛ ولكن بالحسن وعدل السنة ، ورجل غلب رجال الدنيا لا يجوز بغلب النساء . [٦ – ب]

/ للملك الاعتناء بأمور الدين فقد قالوا : الدين والملك توأمان مثل اخوين ولدا في بطن واحد فبحب الاسلام ولعزه [١] ، ويجتهد فى إعادة السنة النبوية والسيرة المرضية ليُحمد عن ذلك طريقه ، ويُعظم فى القلوب هيبته . ويجب ان يعلم ان صلاح الناس فى حسن سيرة المملوك . قالت الحكماء : طباع الرعية تشبه طباع الملك . [٧ – ب]

/ قال محمد بن على بن الفضل [٢] : ما كنت أعلم ان أمور الرعية تجري على عادة ملوكها حتى رأيت الناس فى أيام الوليد اشتغلوا بعمارة الكروم والبساتين واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور . ورأيتهم فى زمن سليمان بن عبد العزيز قد اهتموا بكثرة الأكل والطعام حتى ان الرجل يسأل صاحبه أى لون اصطنعت وما الذي اكلت ، ورأيتهم فى زمن عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا لقراءة القرآن ، وأعمال الخيرات ، وإعطاء الصدقات ، فينبغى له ان يوزع الأوقات فان الملوك القدماء قسموا النهار أربعة أقسام ؛ قسم لعبادة الله وطاعته ، وقسم للنظر فى أمور المملكة وإنصاف المظلومين ، وقسم للجلوس مع العلماء والفضلاء وتدبير الامور وسياسة الجمهور ، وقسم للراحة وأخذ الحظوظ من الفرح والسرور والصيد واللعب . [٨]

/ وما أشبه ذلك ، ويقال ان بهرام وكور قسم نهاره قسمين وجعله نصفين . فى النصف الاول كان يقضي جوانج [٣] العالم ، وفي النصف الثاني كان يطلب راحة نفسه . ويقال : انه في زمانه ما اشتغل يوما بشغل واحد . وينبغي للملك ان لا يباشر الحرب بنفسه ، ويحفظ ناموسة ، ولكن كثيرا من الارباح يتعلق بروحه ، وصلاح الرعية فى حياته . ومن الامثال السائره : الجوهر لا يصارم . وكذلك ينبغي ان لا يجور على نفسه لئلا يجور على غيره . ويجب ان يحترس وينام على فراشه غيره كل ليلة كما فعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليلة الغار . قيل ان بهرام ابن حشروا لما هرب وعسكره خوفا ان يصل قصره وعدوه اليه فقيل له : لا ينبغى للملك ان يهرب لئن همته جيدة متعلقة بهمته . فقال : لم أهرب الا لأخلص جماعة من اصحابي لاني لو هلكت لهلك بي طائفة من الخلائق ، فينبغى للملك بعهد أحوال عماله ورعاياه ، ولا يرضا [٤] لهم بالظلم . [١٣–ب]

(١) هكذا الأصل .
(٢) هكذا الأصل .
(٣) هكذا الأصل والمقصود « حوائج » .
(٤) هكذا الأصل والأصح « لا يرضى » .

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab .ta'līq wa taḥqīq wa dirasa
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

النص مع الضبط والتحقيق :

بسم الله الرحمن الرحيم

[١ – ١ الى ٣ – ١ و ب] / فيقول ان الله تعالى انما يعطى المملكة من اصطفاه ورآه اهلا لدعائه . قال الله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء[١] وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » . فينبغى للملك ان يعرف قدر نعمة الله عليه فى الولاية وعظم شره فانها نعمة ان قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعده على شرفها ، وعظم قدرها ، وحد خطرها ما روى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « عدل السلطان يوما واحد أفضل من عبادة سنة » . وقال – عليه السلام – : « إذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجأ الا ظل الله ، ولا يستظل بظله الا سبعة اناس سلطان عادل فى رعيته » . وهو اول سبعة الذين ذكرهم الله تعالى ، وأقربهم السلطان العادل . قال – عليه السلام – : « والذى نفس محمد بيده انه ليرفع عمل السلطان العادل إلى السماء من العمل مثل عمل حملة الرعية ، وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة » . فإذا كان الأمر كذلك فلا نعمة أجل من إعطاء درجة السلطنة فتكون ساعة من غيره تعدل جميع عمر غيره ، فينبغي للملك الاعتناء بالعدل ليبلغ به الى النعيم ويجتمع به بين الدنيا والدين .

[٤ – ١] / قال تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان » . فيقال : ان ظهور العدل انما هو من كمال العقل والعادل هو من عدل بين العباد ، وحذر من الجور والفساد . قال موسى – عليه السلام – : « ان الله تعالى لم يخلق شيئا فى الارض أفضل من العدل ، وهو ميزان الله فى ارضه فمن تعلق به اوصله الى الجنة » .

[٤ – ٦] / ان عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – سأل محمد بن كعب . قال له : صف لى العدل . قال : « كل من كان أصغر منك سنا فكن له ابا ، ومن كان أكبر منك فكن له ابنا ، ومن كان مثلك فكن له اخا ، وعاقب كل مجرم على قدر جرمه ، واياك ان تضرب سوطا لمسلم على حقد منك فانه يصرك[٢] الى النار ، فالعدل اول صفات الملوك الواجبة عليهم ، وكذلك العلم والسخاء والحلم والوفاء والرأفه والعقل والشجاعة والاقدام » .

« والثانى ، حسن الخلق ، وإنصاف الضعيف ، ومحبة الرعية ، وإظهار الزعامة والاحتمال والمدارات فى مكانها الرأى والتدبير فى الامور ، وحفظ سر الملوك الأولين التى يعتمد عليها ، والحفص[٣] عن الامور التى يعتمدها وتعمل بها . فقد بقيت اثارهم واخبارهم تنزل عليهم فى الخير والشر .

ان اثرنا تدل علينـــا . . فانظر بعدنا الى الآثار »

(١) هكذا الأصل . – (٢) هكذا الأصل والأصح : يوصلك . – (٣) هكذا الأصل .

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab .ta'līq wa taḥqīq wa dirasa
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

على أنفسهم لقوة شخصيته ، ووفرة أنصاره ، وكثرة جنده ، وقدرته على التغلب على المنافسين من الطامعين فى العرش ، وبذلك كان مملوك اليوم هو سلطان المماليك فى الغد .

وقد تعهد السلطان الظاهر بيبرس بإصلاح وتعديل النظام القضائي ، وفى سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ؛ عين أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة وكتب لكل منهم تقليدا ، وأجاز لهم أن يولوا نواباً عنهم فى أنحاء الديار المصرية . وقد امتد اختصاص قاضي القضاة وقضاة الأقاليم ، وزاد نفوذهم حتى تولى القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز الوزارة بجانب القضاة ، ولما صرف عن الوزارة بقي في يده سبعة عشر منصباً من أهمها : قضاة القضاء بالديار المصرية ، خطابه بالجامع الأزهر ، نظر الخزانة ، نظر الأحباش ، مشيخة الشيوخ ، والتدريس فى عدة مدارس .

وكان للجيش المملوكي ثلاثة قضاة اختصوا بشئون العسكر . وكان كل منهم يعرف باسم « قاضي العسكر » . وكانوا يفصلون فى القضايا الخاصة بالعسكر والمدنيين ، ويلي قضاة العسكر فى الأهمية مفتو دار العدل ، وهم أربعة ، يمثلون المذاهب الأربعة ، وكانوا لا يفصلون فى خصومات المدنيين والعسكريين ، بل كانوا يفسرون حكم الشرع فيما يسألون فيه من المسائل ، كل على حسب مذهبه .

وكانت جلسات المحاكم فى دولة المماليك تعقد علانية ، ويحضرها من شاء من الناس ، وكانت تنعقد فى المساجد ، وأحيانا فى دور القضاة الخاصة ، إذ لم يكن هناك دور معينة للمحاكم . واذا جلس القاضي للفصل فى الخصومات ، رتب القضايا بحسب ظهور الخصوم حتى لا يتقدم أحد على الآخر ، لسمو منزلته أو علو مقامه أو ثرائه .

وعموماً فقد كان فى مصر فى دولة المماليك نظام قضائى ممتاز ، وعرف القضاة بحسن السيرة وطهارة الذمة ، واحترامهم لمكانتهم وعدم قبولهم للتدخل من جانب أحد في أعمالهم مهما علا مركزه ، حتى أنهم كثيراً ما كانوا يرفعون استقالاتهم من مناصبهم اذا هُدِّدوا فى كرامتهم ، أو اعتدى أحد على استقلالهم ، كما أنهم كانوا لا يقبلون الرشوة ولا الهدية ، ولذلك كانت لهم مكانة اجتماعية مرموقة فى نظر السلاطين والامراء وجميع طبقات الشعب [1] .

وكان السلطان الظاهر بيبرس أول من تولى النظر فى المظالم من سلاطين المماليك ، وهو الذى أقام لذلك داراً للعدل سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م ، وكان يجلس بها للفصل فى القضايا يحيط به قضاة المذاهب الأربعة وكبار موظفيه ، وظلت دار العدل مقراً لمحكمة المظالم التى كانت تعقد برئاسة السلطان قلاوون سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م . وبنى الايوان واتخذ منه مقراً لهذه المحكمة .

(١) ولعل أوضح الامثلة على ذلك القاضي عبد العزيز المعروف بعز الدين بن عبد السلام (سلطان العلماء) والقاضي تقي الدين عبد الرحمن الشافعى ابن بنت الأعز ، الوارد ذكره فى المتن : م. س. ذ. وأيضا على ابراهيم على ، مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى الى الفتح العثمانى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ .

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
.ta'līq wa taḥqīq wa dirasa - Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الحياة الفكرية والقضاء فى عصر المماليك :

على الرغم من التفكك السياسي والاختلاف المذهبي الذي عانت منه الدولة الاسلامية برمتها ، فان الحياة الفكرية فى مصر بصفة خاصة ؛ قد انتعشت إلى حد كبير نتيجة لتنافس الفرق المختلفة والمذاهب المتعددة ، مما نتج عنه ثراء فكري سياسي متميز شهدته مصر فى العصور الوسطى ، بدليل أن المفكرين المسلمين قد أقاموا مراكز اشعاع فكري ، وكان للخلفاء والحكام دورهم في اثراء الحياة الثقافية فى العصور الوسطى ، واهتموا بعلماء المسلمين ، وتنافست العواصم الاسلامية في القاهرة وبغداد ودور العلم ودور الحكمة لتأصيل الثقافة الاسلامية ، وصقلها ، ومن ثم كانت النهضة العلمية والثقافية التى اتسمت بها الحياة الفكرية فى العالم الاسلامي وقتئذ .

ومن منظور تاريخي فانه قد أخذ بمبدأ استخدام المماليك ولاة مصر الاسلامية من الطولونيين الى الاخشيديين ثم الفاطميين — ولما آلت السلطة الى الايوبيين ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م نهجوا نفس السبيل وأكثروا من شراء المماليك الترك ، وبنيت لهم الثكنات بجزيرة الروضة ، وأطلق عليهم اسم « المماليك البحرية » . ومنحت لهم الفرصة بعد ذلك فى تولي الحكم فى مصر .

ويعد السلطان قلاوون ٦٧٩ هـ / ١٢٧٩ م من أعظم[1] سلاطين دولة المماليك حيث كون فرقة جديدة من المماليك ، كونها من الأرمن والجركس ، وعرفت تلك الطائفة باسم « الجراكسة » . وكانت الغالبية العظمى من المماليك الذين جلبهم الايوبيون وسلاطين المماليك من بعدهم الى مصر تأتي من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز وآسيا الصغرى وفارس وتركستان وبلاد ما وراء النهر ، فكانوا خليطا من الأتراك والجراكسة والروم والروس والأكراد ، فضلا عن أقلية من مختلف البلاد الأوربية .

والمماليك عبارة عن طائفة من الأرقاء المشترين بالمال ، ثم كثر عددهم وحكموا مصر ، ووضعوا أيديهم على بلاد أخرى خارج مصر ، واحتفظوا أثناء حكمهم لمصر بشخصيتهم ولم يختلطوا بأي عنصر من سكان مصر .

وقد انقسم المماليك فيما بينهم الى أحزاب متطاحنة ، غير أن هذا الانقسام الداخلي لم يؤثر على وحدتهم كطائفة أو مجموعة إزاء العالم الخارجي الذى كانوا يواجهونه كعصبية واحدة وهذا يفسر قوتهم وانتصاراتهم الحربية فى مواجهة العدو المشترك .

وكان باب الترقي فى حكومة المماليك مفتوحا أمام من تثبت كفايته فى العمل ، فيترقى من مملوك بسيط الى أمير حتى يبلغ عرش السلطنة ، ولم يكن السلطان إلا واحداً من أمراء المماليك قدموه

(١) راجع فى تفصيل ذلك : دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ، دار النهضة المصرية ، ١٩٧٦ ، ص ١٩٢ — ١٩٧ .

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
.ta'līq wa taḥqīq wa dirasa - Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

فعندما سقطت بغداد وتلاشت هيئة الخلافة تدريجيا ، ظهرت صحوة فى الأقاليم الاسلامية ، وقامت الحكومات اللامركزية [١] وتنافست من أجل الابقاء على الحكومة الاسلامية ، فكانت محاولات المماليك بالابقاء عليها .

وفى إطار الجهود المبذولة لإلقاء الضوء على المخططات المملوكية فى هذه الفترة ، فقد اقتضت الأمانة العلمية كباحث أن أتتبع مجموعة الوثائق فى العصر المملوكي بالمتحف البريطاني فى لندن ، ومكتبة جامعة كامبردج بانجلترا ، وأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، ودار الوثائق القومية بالقلعة للوقوف الى أى من المخطوطات يتعلق بالأدب السياسي فى هذه الفترة ، فلم أعثر على أى مخطوط عن الأدب السياسي المصري فى فترة حكم المماليك ، وانما توجد وثائق هامة أخرى تلقى الضوء على تاريخ مصر فى عصر المماليك وتصور الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، وأهمها وثائق الاستبدال والبيع [٢] .

ورغم خطورة الاعتماد على أصل واحد فى التحقيق ، ورغم ما يكتنف العمل فيه من صعوبات ومشاق ، فانني رأيت أن الوقت قد حان لاخراج هذا المخطوط الى النور . ذلك أنه يمثل مصدراً خصباً وغنياً بالمعلومات الأولية لعصر المماليك وتفسير ظاهرة السلطة في مصر في مطلع القرن السادس عشر الميلادى ١٥٠١ — ١٥١٦ م .

وتجدر الاشارة إلى أن الغموض لا يزال يكتنف المؤلفات التاريخية العربية في فترة حكم المماليك عموما ، وخاصة فيما يتعلق بتطور الفكر السياسي وتفسير ظاهرة السلطة والأحوال السياسية .

[١] استمرت مرحلة اللامركزية فى تطور مراحل النظام السياسي الاسلامي — ستة قرون وسبقتها ثلاثة مراحل ولحقتها مرحلتين : أما الثلاثة مراحل السابقة على مرحلة اللامركزية فهى : المدينة الدولة ١ هـ / ٦٢٢ م — ١١ هـ / ٦٣٢ م وهى أهم مراحل تاريخ الفكر السياسى الاسلامي حيث حكم الوحي سلوك المسلمين وحدد لهم قيمهم الجديدة ، أما المرحلة الثانية فهى مرحلة الدولة الامبراطورية ١١ هـ / ٦٣٢ م — ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ، وتشمل عصر الخلفاء الراشدين حيث بدأت الأمة الاسلامية تواجه مشكلاتها السياسية ، وتوجد الحلول المناسبة لها وذلك بعد انقطاع الوحي وغياب الرسول — صلى الله عليه وسلم ، — والمرحلة الثالثة هى فترة الدولة العباسية . ثم المرحلة التي تدخل فيها دراسة هذا المخطوط وتليها المرحلة الخامسة التى يطلق عليها مرحلة التفتت وتمتد منذ نهاية القرن الخامس عشر حتى بداية القرن العشرين وتشمل نشأة الدولة العثمانية وطابعها بما تحويه سلطة الدولة من ضرب القوى الشيعية وأخيرا تأتي المرحلة الحديثة والمعاصرة والتى يطلق عليها المرحلة القومية . راجع في تفصيل ذلك دكتورة فتحيه النبراوى ، دكتور محمد نصر مهنا ، تطور الفكر السياسي فى الاسلام ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعه الاولى ١٩٨٤ ، ص ١٥ — ١٨ .

[٢] ومن أمثلتها الوثيقة رقم ٥٩ بتاريخ ٢٠ رجب ٩١٢ هـ ، ووثيقة بيع بتاريخ ٢٥ شوال سنة ٨٧٤ هـ فى دار الوثائق القومية بالقاهرة ، وراجع أيضا الدكتور محمود عباس حموده ، المدخل الى دراسة الوثائق العربية ، القاهرة ، دار الثقافة ١٩٨٠ ، ص ١٩٨ — ٢١٣ .

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab - دراسة وتحقيق وتعليق .ta'līq wa taḥqīq wa dirasa
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الخاصة بالنسخ والنقل وقد كتبه[١] المملوك برد بك ، من طبقة المستجدة الملكي الأشرفي . والمؤلف مجهول .

وقد التزم الناسخ عبر صفحات المخطوط بخاصية هامة ، وهي الحفاظ على التنسيق طوال صفحاته التسع عشر ، غير أن الناسخ قد نسي أو أغفل وضع التاريخ الهجري ، والشيء الوحيد الذي ذكره الناسخ فى نهاية المخطوط هو هذه العبارة : « برسم خزانة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قنصوه الغورى أعز نصره » . وتأسيسا على ذلك تكون هذه المخطوطة من نسخ مطلع القرن السادس عشر الميلادي .

وترجع أهمية هذا المخطوط النادر — من وجهة نظري — الى الفترة الزمنية التي حكمت فيها مصر من جانب المماليك الجراكسة ، فى عهد السلطان قنصوه الغوري ١٥٠١ — ١٥١٦ م[٢] .

هذا المخطوط فى الأدب السياسي المصري يلقي الأضواء حول تفسير ظاهرة السلطة وتطوراتها خلال مراحل تطور الفكر السياسي الاسلامي الذى شهد فترات من القوة والضعف غير أنها — أي ظاهرة السلطة — بقيت من حيث النظرية كما هى ، ولم يخرج فقهاء المسلمين فى تعريفاتهم لظاهرة السلطة عن الفكرة المثالية التى ظهرت بها فى صدر الاسلام . ومع ذلك فقد حاولوا تطويع الفكر لمختلف الظروف التى عايشوها . فكان للمسلمين من أهالي البلاد المفتوحة وممن دخلوا فى الاسلام ، إنجازات حضارية عظيمة أسهمت فى تأصيل الفكر السياسي الاسلامي ، غير أن الفرصة لم تسنح لذلك الفكر في أن يبدع ويجدد فكان تطبيقه بشكل مختلف عما أراده له مفكروه وواضعوا أسسه ،

(١) ازدادت أهمية الكتابة فى عصر الأيوبيين ثم فى عصر المماليك عما كانت عليه فى العصور السابقة حيث أولى السلاطين المماليك عنايتهم للديوان وأناطوا وظائفه الى القضاة والكتاب الاكفاء . راجع دكتور عبد المنعم ماجد ، الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة بدون تاريخ إصدار ، ص ٣٥ . ويروي القلقشندي (عصر المماليك) ويشرح هنا أهمية أصحاب ديوان الانشاء — أى الكتابة — قائلا : « ومرتبته فى زماننا أرفع مرتبة ومحله أعظم محل ، إليه تلقى أسرار المملكة وخفاياها ، وبرأيه يستضاء فى مشكلاتها ، وعلى تدبيره يقول فى مهماتها ، وإليه ترد المكاتبات ، وعنه تصدر ، وفى ديوانه تكتب الولايات السلطانية كافة ، ويقوم توقيعه على القصص فى نفوذ الاوامر مقام السلطان ، وجميع ما يعلم عليه السلطان ، ومن جليل وحقير فى مزرته حتى ما يكتب من ديوان الجيش من المناشير وما يكتب من ديوان الوزارة وديوان الخاص وغيرها » . راجع : القلقشندى ، صبح الاعشى فى صناعة الانشاء ، جزء (١) ، القاهرة ، نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي ، بدون تاريخ إصدار ص ٥٤ ، ٥٦ ، ٩١ ، ١٢٨ .

(٢) وقد أعقبه طومان باي الثاني ١٥١٦ م — ١٥١٧ م وكان هذا الأخير آخر سلاطين دولة المماليك الجراكسة ، وتنقسم سلاطين دولة المماليك الى : سلاطين دولة المماليك البحرية وسلاطين دولة المماليك الجراكسة وتضم الأولى السلطنة المملوكية حتى الناصر محمد ، ثم عصر الناصر محمد ، ثم أولاد الناصر محمد وتشمل هذه الفترة من ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م — ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م ، ثم أحفاد الناصر ، وتضم الثانية سلاطين دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢ م — ١٥١٧ م) .

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
.ta'līq wa taḥqīq wa dirasa - Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

آداب الملـــوك

كتبه المملوك برد بك
من طبقة المستجدة الملكى الأشرفى

دراسة وتحقيق وتعليق
دكتور محمد نصر مهنا
أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية – جامعة أسيوط

مقدمة :

سيظل إحياء التراث الاسلامى من الأعمال الأكاديمية الهامة من جانب المؤرخين والباحثين . وإلقاء الاضواء على المخطوطات العربية النادرة وبعثها من مواتها الى دنيا الأحياء هو – بالمقام الأول – واجب أساسى للعلماء والباحثين من أجل تقديمها فى صورة تتيح للدارسين وطلاب العلم فائدة أوسع ، بالرغم مما يكتنف هذا العمل من جهد ومشقة ، وما يستلزمه من مثابرة وصبر وتدقيق وتوثيق .

والتراث الاسلامى من الأجيال الماضية له مكانته ومنزلته الكبيرة فى عقل ووعى ووجدان الأمة الاسلامية ، وهو مألوفها ومخزونها الفكرى ، ووعاء ذكرياتها وتاريخها . فيه تجد الأمة جذورها ، وله تهفو ، وفيه تستلهم ، وله تمنح الولاء وتفخر بصفحاته . التراث هو الجذور الفكرية لعقل الأمة ، وهو الروح السارية فى هذا العقل والوجدان والذى سيظل يسهم فى تشكيل الوعى والانتماء إن بالسلب أو بالايجاب .

والمخطوط الذي نعرضه يعتبر سجلا حافلا بأحداث التاريخ المصري عشية الحكم العثماني ، وهو من المصادر القليلة التى ترصد واقع المجتمع المصري قبيل القضاء على الدولة المملوكية .

ومن نافلة القول أن تاريخ مصر – على مر مراحله – قد حفل بمصادر تعتبر بحق قمة – وإن أهملها المؤرخون والباحثون – .

ويحمل المخطوط المذكور عنوان : « آداب المملوك » ؛ وقد عثرتُ عليه بالمكتبة العامة باستامبول Top kapi Saray ، فينتمي إلى مجموعة المخطوطات الإسلامية النادرة فى هذه المكتبة ، وهو دون رقم . وهو مخطوط وحيد ، فى حالة جيدة ومكتوب بخط واضح . يقع في تسعة عشر صفحة من القطع المتوسط . وتوجد صفحات خالية من الكتابة بالإضافة إلى بعض الصفحات ، ليس بها سوى جملتين أو ثلاث ، كما هو واضح في النص . ومع ذلك فانه لا يخلو من كثير من التعقيدات

AnIsl 22 (1987), p. 1-9 Muḥammad Naṣr Muhannā
آداب الملوك - كتبه المملوك برد بك - دراسة وتحقيق وتعليق .ta'līq wa taḥqīq wa dirasa - Bak Bard mamlūk-al hū-kataba - mulūk-al Ādab
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net